حياته وقربانه الاقدس ومنها ادبية واجتماعية كمشروع « جبال التقى » (Monts de Piété) الذي انشأهُ الاب يرنباي التوريني سنة ١٤٦٢ وامتدَّ في سائر انحاء العالم وبه نجا الوف بل مئات الالوف من الفقراء من ظالم المرابين ومنها شركة التناهة لمحاربة المسكرات سنة ١٨٥٦ وغيرها من المشروعات التي كان الفضل في انشائها لتلامذة القديس فرنسيس . وما نقولهُ عن الفرنسيسيين نقولهُ عن الكبوشيين وبقية الرهبانيَّات المنتسبة اليهِ تحت اسماء متباينة وقوانين متشكلة وكلهم يتوَّجون هامة القديس فرنسيس باكليل من المجد يزيد كل يوم حسناً وبهاء باعمالهم الشريفة

شعراء النصرانية بعد الاسلام

شعراء النصرانية في عهد الدولة العباسية (تابع)

للاب لويس شيخو اليسوعي

٤٠ رشيد الدين ابو حُلَيْقة

﴿ اسمهُ اصلهُ نسبهُ دينهُ ﴾ افادنا ابن ابي اصيبعة في كتابهِ المتع عيون الانباء في طبقات الاطباء (٢ : ١٣١ — ١٣٢) معلومات متفرِّقة عنهُ وعن اجدادهِ ما نستخلصهُ هنا للقرَّاء . قال يذكر اسمهُ ونسبهُ (ص ١٣٣) : « هو الحكيم الاجلّ العالم رشيد الدين ابو الوحش بن الفارس ابي الخير بن ابي سليمان داود بن ابي المنى بن ابي فانة ويعرف بابي حُلَيْقة »

وذكر جدَّهُ ابا سليمان داود وكان متطبباً (ص ١٢١) فقال عنهُ انَّهُ « كان من اهل القدس ثم انتقل الى الديار المصريَّة » ومما رواه ان ملك القدس الفرنجي اموري (Amaury) وهو يدعوهُ « ماري » لمَّا وصل الى الديار المصريَّة اعجبهُ طبُّهُ فطلبهُ من

الخليقة ونقلهُ معهُ هو واولادهُ الخمسة الى البيت المقدس. فخدم الملك هناك وعالج ابن الملك المصاب بالجذام ثمَّ تركَّب

ومما اخبرهُ هناك انهُ ارسل احد ابنائهِ وبشَّر الملك الناصر صلاح الدين يوسف بفتحهِ القدس فاصاب ذريَّته لذلك حظوة كبيرة لدى السلطان

واردف ابن ابي اصيبعة ذلك بتراجم ابناء ابي سليمان. وكان اكبرهم الحكيم (ابو سعيد مهذَّب الدين) الذي خدم صلاح الدين ثمَّ الملك العادل وولدهُ المعظم. وتوفي سنة ٦١٣هـ (١٢١٦). ويدعى الثاني (ابا شاكر) خدم الملك الكامل ابن الملك العادل وتوفي سنة وفاة أخيهِ ابي سعيد. واسم الثالث (ابو نصر) كان ايضاً طبيباً وتوفي بالكرك. والرابع (ابو الفضل) كان طبيباً فاضلاً وهو اصغر اخوتهِ توفي سنة ٦٤٤ وعمرهُ ٨٤ سنة هجريَّة (١١٦٤ــ١٢٤٦ م) خدم الملك المعظم بالكرك والملك الكامل بمصر. الخامس (ابو الخير فارس) تربَّى مع ابن ملك الفرنج المجذوم وخرج من بين اخوته الاربعة الاطباء جندياً

ورشيد الدين ابو حُلَيقة هو ابن ابي الخير فارس. دُعي ابا حُلَيقة لحلقة من فضَّة في اذنهِ وُصفت لهُ عند ولادتهِ دفعاً للموت الذي اصاب اخوتهُ قبلهُ فعاش هو وعُرف بابي حُلَيقة

﴿دينهُ واخبارهُ﴾ كان رشيد الدين ابو حليقة نصرانيًّا كجدّه ابي سليمان الذي صرَّح ابن ابي اصيبعة بنصرانيَّتهِ وكذلك اولادهُ وحفيدهُ رشيد الدين. وقد أتسع ابن ابي اصيبعة في وصف معارفهِ الطبيَّة وعلاجاتهِ الغريبة بتريق عجيب وضعهُ فشفى بهِ كثيرين ممَّن أيس الاطباء من حياتهم وحكموا بوفاتهم القريبة. وذكر خدمهُ الممتازة لاربعة من الخلفاء الايوبيين في مصر وهم الملك الكامل ثم العادل ثمَّ الصالح وتورانشاه. وعاش الى زمن المماليك وخدم الملك الظاهر ركن الدين بيبرس (٦٥٨ــ ٦٧٦ هـ = ١٢٦٠ــ١٢٧٧م) ولم يذكر سنة وفاتهِ

﴿ادبهُ وشعرهُ﴾ قال ابن ابي اصيبعة يصف معارف رشيد الدين واخلاقهُ ويذكر اجتماعهُ بهِ (٢: ١٢٣):

« كان اوحد زمانهِ في صناعة الطب والعلوم الحكميَّة متفنناً في العلوم والآداب حسن المعاملة لطيف المداراة رؤوفاً بالمرضى محباً لفعل الخير مواظباً للامور الشرعية متفنناً في العلوم والآداب

حسن المعاملة لطيف المداواة رؤوفاً بالمرضى محباً لفعل الخير مواظباً للامور الشرعية التي هو عليها كثير العبادة . ولقد اجتمعتُ بمرات ورأيتُ من حسن معاملته وعشرته وكمال مروءته مايفوق الوصف »

وقد ذكر له عدّة تآليف طبيّة منها كتاب في الامراض واسبابها وعلاماتها ومداواتها . وكتاب في الادوية المفردة دعاهُ المختار في الالف عقّار . وكتاب الادوية المركّبة التي قد اظهرت التجربة نجحها وكتب مقالة في انّ الملاذّ الروحانيّة الذّ من الملاذّ الجسمانيّة وعلّل ذلك بقوله « اذ الروحانيّة كمالات وادراك الكمالات والجسمانيّة انّما هي دفعُ آلام أخرى وان زادت اوقعت في آلام أخرى » وهو نعم القول . وله ايضاً مقالة في ضرورة الموت علّله بتحلّل لدن الانسان بالحرارة التي في داخله وبحرارة الهواء الذي من خارج فكان يتمثل بهذا البيت :

واحداهما قاتلي فكيف اذا اجتمعا

وكان رشيد الدين شاعراً روى له ابن ابي اصيبعة بعض القاطيع نرويها هنا عنهُ . فمن ذلك قوله من ابيات يصف فيها منظرة سيف الاسلام (من الكلام) :

سمحَ الحبيبُ بوصلهِ في ليلةٍ غفلَ الرقيبُ ونامَ عن بَاياتِها
في روضةٍ لولا الزوالُ لشابهتْ جنّاتِ عدنٍ في جميعِ صفاتِها
فالطيرُ يطربُ في الغصون بصوتهِ والراحُ تجلى في الكؤوسِ صفاتِها
ومجالسُ القمرِ المنيرِ تنزّهت فيهِ الحواسُّ باسمها وكناتِها

وقال يذكر ايام اجتماعهِ بالمحبوب ووداعه له (من الطويل) :

أحِنُّ الى ذكر التواصل يا سعدُ حنينَ النياقِ القيسِ عنّ لها الوِرْدُ
فسَعْدى على قلبي ألذُّ من المُنى وقُربي لها عند اللقاء هو القَصْدُ
حوت مَبْسماً كالدُّرِّ أضحى منظّماً وثغراً كمثل الأقحوانِ بهِ شَهْدُ
وفَرْعاً كمثل الليل او حظّ عاشقٍ ووجهاً كوجه الصبح هذا لذا ضِدُّ

اقولُ لها عند الوداع وبيننا حديثٌ كنَشر المِسكِ خالطَهُ ندُّ
تُرى نلتقي بعد الفراقِ بمنزلٍ ويَظفَرُ مشتاقٌ أضرَّ بهِ البُعدُ
تمرُّ الليالي ليلةً بعد ليلةٍ وذكرُكمُ باقٍ يُجدّدهُ العَهدُ
ولكنَّ خوفَ الصَّبرِ ان طالَ هَجرُكم فيُقضى ولا يَقضي لهُ منكمُ وعدُ
عَشِقتُ سيوفَ الهندِ من أجلِ أنّها تُشابهُها في فعلِ ألحاظها الهندُ
ولي في الرماحِ السُّمرِ سُمرٌ لأنها تُشابهُها قدًّا فيا حبّذا القدُّ
وفي الورد معنًى شاهدٌ فوق خدّها نُشاهدُهُ فيها اذا عُدِمَ الوردُ
وبي من هواها ما جحدتُ وعبّرتْ بهِ عَبرتي يوماً وما نفعَ الجَحدُ

وقال مشبّباً (من الطويل):

خليليَّ انّي قد بَقيتُ مُسهَّدًا من الحبِّ مأسورَ الفؤادِ مُقيَّدا
بحبِّ فتاةٍ يُخجِلُ البدرَ وَجهُها ولا سيَّما في ليلِ شَعرٍ اذا بدا
ضلَلتُ بها وهي الهلالُ ملاحةً فوا عجباً منهُ أَضلَّ وما هَدَى
لها مَبسِمٌ كالدُّرِّ اضحى منظَّماً ونُطقٌ كمثلِ الدرِّ أمسى مبدَّدا

ولما كان رشيد الدين في دمياط اتاهُ خبر والدهِ انهُ كان مرض في القاهرة ثم حُظي بالعافية فكتب لهُ (من الكامل):

قطرَتْ عليَّ سحائبُ النَّعماء مذ زالَ ما تشكو من البَلوَاء
ولَبِستُ مذ ابصرتُ خطَّك نعمةً فيها اقوم لشكرها بوَفاء

وقال ابن ابي اصيبعة يذكر اهل رشيد الدين فقال (٢: ٢٢٨): وجماعة اهل الحكيم رشيد الدين ابي حُليقة اكثر شُهرتهم في الديار المصريّة والشام ببني شاكر لشهرة

الحكيم ابي شاكر وسُمعته الذائعة فصار كلّ من لهُ نسب اليه يعرفون ببني شاكر وان لم يكونوا من اولاده . ولما اجتمعتُ بالحكيم رشيد الدين ابي حُليقة — وكان قد بلغهُ انني ذكرتُ الاطبّاء المشهورين من اهلهِ ووصفت فضلهم وعلمهم — تشكّر مني وتفضّل فانشدتهُ بديهاً (من السريع) :

وكيف لا اشكرُ مَن فَضْلُهم ... قد سار في المشرق والمغرب
تشرقُ منهم في سماء العُلا ... نجومُ سعدٍ قطُّ لم تَغْرُبِ
قومٌ ترى اقدارَهم في الورى ... بالعلم تسمو رتبةَ الكوكبِ
كم صنّفوا في الطب كُتْبًا أتَتْ ... بكل سِرٍّ مبدعٍ مُغْرِبِ
وانّ شكري في بني شاكرٍ ... ما زال في الأبعد والاقربِ
خُلّدتُ مجدًا دائمًا فيهمُ ... بحُسْن وصفٍ وثنًا طيّبِ

وقد ذكر ابن ابي اصيبعة ولدًا لرشيد الدين يدعى ابا سعيد زاول الطبابة كابيه وقال عنهُ انهُ أسلم في ايام الملك ظاهر بيبرس . وفي خطط المقريزي (٢ : ٣٧٨) جاء ذكر ولد آخر لرشيد الدين لم يُسلم دعاه [illegible] ترجمهُ ابن ابي حليقة روى عنهُ انهُ خدم الملك الكامل وحضر وفاتهُ

٤١ ابن مرتين

﴿زمنهُ وشعرهُ﴾ هو شاعر نصرانيّ اندلسيّ ذكرهُ ابن العربيّ في مسامراتهِ (٢ : ٣١١ او ٣٣٧) قال في باب العشّاق والعشق . انشدني ابن مرتين من هذا الباب يصف ما في الحبّ من الخير والشرّ من الحسن والضرّ (من الكامل) :

الحبُّ فيهِ حلاوةٌ ومرارةٌ ... والحبُّ اصغرُ ما يكونُ عظيمُ
الحبُّ أهونُهُ شديدٌ قادحٌ ... والحبُّ اصغرُ ما يكونُ عظيمُ
الحبُّ صاحبُهُ يبيتُ مُسَهَّدًا ... ويطيرُ منهُ فؤادُهُ ويهيمُ
الحبُّ لا يَخفى وان اخفَيْتَهُ ... انَّ البُكاءَ على المحبِّ غمومُ

الحبّ يشهدُ صادقًا (١في وجههِ عند التنفُّس انّهُ مهمومُ
الحبّ داءٌ قد تضمّنهُ الحشا بين الجوانحِ والضلوع مقيمُ

ولم نطّلع على شيء آخر من شعر ابن مرتين. وانّما يؤخذ من ذكرهِ في مسامرات ابن العربيّ انهُ عاش قبلهُ اعني قبل القرن السابع للهجرة والثالث عشر للمسيح لأنّ ابن العربي توفي سنة ٦٣٨ه (١٢٤٠م)

ثمّ وجدناهُ مذكورًا في كتاب المقّري نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب (٢:٨٨٩) حيث دُعي بالمتأنّد ابن مرتين ويتعيّن زمانهُ في عهد المعتمد على الله بن عبّاد صاحب اشبيلية (٤٦١–٤٨٤ ه ١٠٦٨–١٠٩١ م) فيكون اذن من شعراء القرن الخامس للهجرة والحادي عشر للمسيح

٤٢ ابن زطينا

﴿ نسبهُ زمانهُ دينهُ ﴾ وصفنا في المشرق (١٨ [١٩٢٠]: ٥٩٦–٦٠٧) كتاباً مخطوطاً قديماً من اواخر القرن الثالث عشر او اوائل الرابع عشر ونقلنا عنهُ هناك شذرات تاريخيّة مهمّة. ففي الصحيفة الثانية عشرة منهُ ورد ذكر ابن زطينا فقال المؤلف في تاريخ سنة ٦٢٦ه (١٢٢٨م): «وفي هذه السنة توفي ابو الفضل جبريل بن زطينا كاتب الديوان كان اوّلًا نصرانيًا واسلم في ايام الخليفة الناصر لدين الله». ومنهُ يتّخذ انّهُ عاش في اواخر القرن السادس للهجرة الى الربع الاوّل من القرن السابع. وانهُ كان نصرانيًا. وامّا اسلامهُ فنعرف انهُ لم يكن اختياريًا لما صار وقتئذٍ من الضغط على النصارى كما ورد في الكتاب المذكور (ص٥٩٦–٥٩٧) عن ابن فضلان الذي كتب الى الخليفة الناصر لدين الله يحضّهُ على مناهضة النصارى والضغط عليهم. ومن ثمّ لا نرتاب في نظمهِ بين النصارى. ويؤخذ من شعرهِ انهُ عمّر طويلًا

وقد ذكر المؤرخ المذكور الذي نقلنا عنهُ في تاريخ سنة ٦٣١ه (١٢٣٢م ص٧٩٥)

---

١) ويروى: صارخًا

انَّ هبة الله ابن زطينا خلف اباهُ جبريل في الديوان ورُتب كاتب السكَّة وذلك بايماز ابن حاجب قيصر النصراني كما يلومهُ في ذلك ابن رضوان . وهو دليل على نصرانية جبريل وعلى انَّ اسلام والده كان تظاهرًا ليس حقيقيًّا

﴿ادبهُ وشعرهُ﴾ ورد ذلك في الكتاب المخطوط الذي اشرنا اليهِ فقال: وكان (ابن زطينا) ذا فضلٍ وادب ولهُ نظمٌ ونثرٌ واشياء مستحسنة ومن شعره قولهُ يحضُّ على التوبة والصلاة والصوم (من السريع) :

إنْ سَهَرَتْ عينُك في طاعةٍ فذاك خيرٌ لك من نَوْمِ
أمسكَ قد فاتَ بعلّاتهِ فاستدرِكِ الفائتَ في اليومِ
وان قسا القلبُ لأكدارهِ فصَفِّهِ بالذكرِ والصومِ

ولهُ في الاستغاثة بالله عند البليَّة (من الوافر) :

اذا أعيا عليك الامرُ فارجعْ الى ربٍّ عوائدُهُ جميلهْ
فكم من مسلكٍ مع ضيقِ بسطٍ تخلّى وانسبابَ بغيرِ حيلهْ

وقال يذكر ضعفهُ لتقدُّمهِ بالعمر (من السريع) :

أريدُ من نفسي نشاطَ الشبابْ ودون ما أبغيهِ شيبُ الغُرابْ
فكيفَ والسبعون جاوزتُها ومذهبُ العُمرِ رُمي بالذَّهابْ
ومطلبي عزٌّ وما دونهُ ذيّاكَ نفسي وأموري صِعابْ
وقد تحيَّرتُ ولا غَروْ أنْ يحارَ من يطلبُ ما لا يُصابْ

٤٣٠ صاعد بن عيسى بن سمّان

﴿زمنهُ دينهُ شعرهُ﴾ ورد ذكر صاعد في تاريخ كمال الدين ابن العديم الذي

عنوانهُ بغية الطلب في تاريخ حلب (Ms de Paris n° 726, ancien fonds, ff. 18r) فقال هناك يذكر ابن سهلون :

« اسرائيل بن سهلون ابو الحسن الطبيب الحلبي اظنهُ من نصارى حلب ظفرتُ لهُ ببيتٍ من الشعر قرأتهُ بخطّ بعض كتّاب حلب مما اختارهُ من شعر صاعد بن عيسى ابن سنان الكاتب النصراني الحلبي . فكان صديقهُ ابو الحسن اسرائيل بن سهلون الطبيب عمل بيتاً وهو (من الطويل) :

أيا طَيْفَ من أهوى تَسَرْبلتَ عِفَّةً واشبهتَ في الاحلام فِعْلَكَ يَقْظانا

فاجابه يعني صاعد بن عيسى :

ولكنّنا مُتْنا من الوَجْد قبل أنْ يُسلِّمَ دجيًا بالسلام فأحيانا
على مِثْل هذا الفعل كانت إمامةٌ تُواصِلُنا أحيانًا وتهجرُ أحيانا
اذا كنتُ لا ألقاكَ في الدهر يَقْظةً فيا ليت اني ما عِشتُ وَسْنانا

فمن ذكر صاعد في تاريخ كمال الدين يتبيّن انهُ سبق هذا الكاتب المتوفى سنة ٦٦٠ هـ (١٢٦١م) . وقد سها عن ذكره محمد افندي راغب في كتابهِ اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء .

٤٤ نصرالله الغفاري

﴿زمنهُ شعرهُ﴾ ورد ايضاً ذكرهُ في احد مخطوطات لندن الذي عنوانهُ كتاب تذكرة العلماء والشعراء (Ms Br. Mas. 1108) للمملوك تاني بك الخزندار فنظم بين شعراء القرن الثالث عشر للهجرة نصرالله بن هبة الله الغفاري الكاتب الشاعر النصراني وروى لهُ من الشعر قولهُ في توبتهِ عن شرب المدام (من الخفيف) :

أيُّها الحِلُّ خلِّني وهمومي شغلَتْني نَدامتي عن نَديمي

عَـدِ عني كأسَ المُدامِ فـاني تائبٌ عن وِصال بنتِ الكرومِ
ختَمَ اللهُ لي بخَيرٍ فما لي اربٌ في رَحيقها المختومِ
انا لا اسمعُ الغِناء فما لي ولثاني الثقيلِ والمزمومِ(١

قال ومن شعره ايضاً قولهُ في كذب المنجمين (من الوافر):

اذا حكَمَ المُنَجِّمُ في القضايا بحُكمٍ جازمٍ فأرْدُدْ عليهِ
فليس بعالمٍ ما اللهُ قاضٍ فقَلِّدْني ولا تَرْكَنْ اليهِ

(له بقيّة)

رحلة الى شمالي لبنان

لحضرة الفاضل انطونيوس يشلي اللبناني (تتمّة)

دير مار مارون عنّايا

لقد امتدَّ بنا الكلام عن دير ميفوق فهيّا بنا نغادرهُ ايها القارئ في ٩ ايلول الى دير مار مارون عنّايا المشيَّد في صحراء قفرة وهو يطلّ على مناظر طبيعيّة فاتنة ويعلو عن سطح البحر زهاء ١١٠٠ متر ولا يبعد شرقاً عن مدينة جبيل الأثريّة سوى ثلاث ساعات، تقصدهُ الناس من الانحاء البعيدة لزيارة جثمان الحبيس الطيّب الذكر الاب شربل مخلوف بقاع كفرا المصون فيه كمكنز ثمين

في سنة ١٨١٤ تسلّم الرئيس العام اللبناني الاب اغناطيوس بليبل من يوسف ابي

١) ثاني الثقيل والمزمومُ من الاصوات المعروفة عند المثنين وارباب الموسيقى